الدرس الواحد والعشرون

تفسير سورة نوح [١٣ :٢٨]

{مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠) قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٤) مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (٢٥) وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨)}

ثُمَّ نبه نوحٌ عليه السلام إلى دلائل الربوبية ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾، يُعجِّب من حالهم ويُحرك البليد من أذهانهم ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ أي إجلالًا وتعظيمًا، لو كان في قلوبهم إجلالٌ وتعظيمٌ لله ما وقعوا في الشرك والمعصية، ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾، يُذكرهم بأصل خلقتهم؛ نطفة من ماءٍ مهين، ثم علقة، ثُم مضغة، ثُمّ صار جنينًا، ثُم خرج من بطن أمه رضيعًا، ثُمّ ترقى في الخلق، هذه هي الأطوار التي يمر بها ابن آدم ويعرفونها يقينًا، ، فهو يذكرهم بدلائل الربوبية إلى ما يجب عليهم من العبودية.

ثُمَّ نقلهم من الآيات النفسية إلى الآيات الآفاقية، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

﴿اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾[نوح:١٥].

أي: سرحوا أبصاركم في قبة الفلك، وتأملوا هذه السماوات السبع الطباق، كيف خلقها الله؟ {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} [غافر: ٥٧]، ﴿طِبَاقًا﴾ يعني بعضها فوق بعض.

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[نوح:١٦].

أي: زينهنّ بهذا القمر البديع، الذي ينير أرجاء السماء، ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾، ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ ﴾ يعني فيهنّ ﴿سِرَاجًا﴾، والسراج هو ما يجمع وصفين: الإضاءة والدفء؛ ولهذا قال في آيةٍ أخرى: ﴿سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾[النبأ:١٣]، أما القمر ففيه إضاءة وإن كانت دون إضاءة الشمس؛ لأنه يعكس نورها فقط، ولا دفئ فيها.

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[نوح:١٧-١٨].

كما قال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[طه:٥٥]، فالله تعالى خلق أبانا آدم من تراب الأرض؛ من أبيضه، وأسوده، وأحمره، وسهله، ووعره، وجعل فيه الماء ثُمَّ صار صلصالًا كالفخار ثُمَّ نفخ فيه من روحه فاستحال خلقًا جديدًا، فمادتنا وأصل خلقتنا مستمدةٌ من تراب الأرض، ثُمَّ يعمرنا الله تعالى فيها فنأكل من خيراتها وثمراتها، ونشرب من مائها ثُمَّ نفنى ونعود إلى أمنا الأرض، وتتحلل أجسادنا فيها، ونعود ترابًا، ثُمَّ إذا أَذِن الله تعالى بالبعث مرةً أخرى، أمر الله تعالى مكونات كل بدن أن تلتئم وتجتمع؛ حتى الذي تفرق في بطون السباع، وحواصل الطير، وأجواف الحيتان، والذي احترق وصار هباءً يعود

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

جميعًا وينشئه الله خلقًا آخر.

وقوله: ﴿ نَبَاتًا﴾ و﴿ إِخْرَاجًا﴾، مفاعيل مطلقة تؤكد عاملها، وقوله: أنبتكم نباتًا يدل على جواز أن يأتي المفعول المطلق مصدرًا على خلاف فعله؛ لأن (أنبت) رباعي، فالمتبادر إلى الذهن أن يقول: والله (إنباتًا)، لكنه قال: ﴿نَبَاتًا﴾ وهذا سائغٌ في اللغة وشواهده كثيرة.

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) ﴾[نوح: ١٩].

لفت انتباههم إلى الخصائص الأرضية، وهو أن هذه الأرض جعلها الله تعالى مبسوطةً ممهدة ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾[النبأ:٦]، فهي ممهدةٌ مبسوطةٌ للسير عليها والحرث فيها والزرع والتنقل والسفر، وهذا أمرٌ مشاهد وهي منةٌ عظيمة من الله ﷻ.

قال: ﴿ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾، سبلًا جمع سبيل، أي طرقًا واسعة، الفجاج: المراد بها الطرق الواسعة وهي الجواد الكبيرة التي يحصل بها التنقل وحمل الأمتعة، وغير ذلك من المنافع التي يدركونها.

والمقصود أن من طريقة نوح وأسلوبه في الدعوة إلى الله ﷻ توظيف دلائل الربوبية؛ الدلائل الكونية المبثوثة في الآفاق وفي النفس، في السماء وفي الأرض؛ لكي يستدل بها هؤلاء البلداء على ما يستحقه الرب ﷻ من العبودية، فهل يعقل أن الذي ركب الكون على هذه الصفة أنه خلقه عبثًا، لا لغاية ولا لهدف،﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾[المؤمنون:١١٥]، حاول عليه الصلاة والسلام أن يحيي قلوبهم الميتة وعقولهم البليدة، لكنه بعد هذه المحاولات الكثيرة

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

والمتفانية قوبل بالعصيان فرفع شكواه إلى ربه قائلًا: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾[نوح:٢١]، الكبراء والرؤساء والزعماء أصحاب الأموال الطائلة، والأولاد الشهود الذين يتباهون بهم في المجالس. هذه محصلة دعوته طيلة تسعمائة وخمسين سنة، ألف سنةٍ إلا خسين عامًا، والظاهر أن الخمسين الأولى هي السنوات التي قبل النبوة؛ لأنَّ الله تعالى يبعث الرجل على رأس أربعين سنة من عمره، فعمره كله في الدعوة إلى الله تعالى. فتمخض الموقف بعد كل هذا عن ما قال ربنا: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[هود:٤٠]، وقال له في سورة هود: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ﴾.

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾[نوح:٢١-٢٢]، يعني فوق ذلك اتخذوا جميع الطرق الكيدية والإضلالية على الأتباع، ونفروا الناس مني ومن دعوتي ﴿ كُبَّارًا ﴾ صيغة مبالغة من الكِبَر، يعني أنها أحابيل وحيل وطرق متفننة في الصد عن سبيل الله.

وقالوا يوصوا بعضهم بعضًا: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[نوح:٢٣].

هذه أسماء أصنامهم (ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر)، هؤلاء الخمسة قد بين ابن عباس -رضي الله عنهما- أنهم رجال صالحون قال: (فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ)[1].

ثم بعد ذلك جاء عمر بن لحي كان له رئي من الجن فقال له: ايت ضف جدة، تجد

(1)أخرجه البخاري رقم (٤٩٢٠).

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

أصنامًا معدَّة، فأوردها تهامة ولا تهب وادع العرب إلى عبادتها تجب. فدله على موضع عند سيف البحر فكشف عن هذه الأصنام واستخرجها ثم بثها في قبائل العرب فكان عند كل قبيلة من قبائل العرب صنم من هذه الأصنام ثم إنه ذهب إلى بلقاء الشام واستحضر هبل وجعله في مكة[٢].

هكذا وقع الشرك في بني آدم، فإن مرجعه إلى أمرين: الغلو والصور والتماثيل.

فالغلو في الصالحين هو الذي جرهم إلى الوقوع في الشرك، وبهذا يتبين لنا خطورة ما يفعله بعض السدنة والضُلَّال من تعظيم المقبورين والأولياء والمغالاة فيهم، حتى أنهم يعلقون قلوب العوام بهم، أعظم من تعلقهم بربهم، والله تعالى يقول: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[الإسراء:٥٧]، يعني إذا كان أولئك الصالحون يبتغون إلى ربهم الوسيلة، يرجون رحمته، ويخافون عذابه فافعلوا فعلهم وارجو الله، وابتغوا ما عنده، لا تتقربوا إليهم هم، فإنكم إن فعلتم ذلك فلا فرق بينكم وبين المشركين.

قال الله عن المشركين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾[الزمر:٣]، زين لهم الشيطان هذه الشبهة، وقال: أنتم متلطخون بالمعاصي والذنوب ولا سبيل لكم أن تدخلوا على الله، وتصلوا إليه إلا عن طريق هؤلاء الوسائط، كما أن الملك والسلطان لا يُدخل عليه إلا عن طريق الوزير والأمير والحاجب، فهكذا أنتم لا تستطيعون أن تصلوا إلى الله إلا عن طريق هؤلاء الأولياء، فادعوهم، فدعوهم

(٢)كتاب الأصنام للكلبي (ص٥٤).

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

وعبدوهم فوقعوا في الشرك.

أحد أهم أسباب الوقوع في الشرك هو الغلو في الصالحين، فيجب على الإنسان أن يضبط الأمر فيحب الصالحين، لكن لا يغلو بهم، حتى ولو كان نبينا ﷺ فإنه، بأبي وأمي، قد قال: (لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ)[٣]، ولما دخل عليه وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: (السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ)[٤].

أمَّا السبب الثاني للوقوع في الشرك فهي الصور والتماثيل؛ لأنَّ الصور والتماثيل تجعل هؤلاء الجهال والسذج يتعلقون بها، ويعتقدون أن هذا الصنم بيده أو عنده نفعٌ أو ضر،﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾[الأحقاف:٥]، أصنامٌ من خشب أو من حجر، أو من خزف، أو غير ذلك، لا يسمعون دعائهم.

فلهذا جاءت النصوص الشرعية بالتحذير من التصوير والتصاوير، وقال النبي ﷺ: (إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ)[٥]، وعن ابن عباس رضي الله عنه: (مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ)[٦]. وعنه أيضًا: (مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ

---

(٣) أخرجه البخاري رقم (٣٤٤٥).
(٤) أخرجه أحمد رقم (١٣٥٢٩)، وأبو داود رقم (٤٨٠٦).
(٥) أخرجه البخاري رقم (٧٥٥٨)، ومسلم رقم (٢١٠٨)، متفق عليه.
(٦) أخرجه البخاري رقم (٥٩٦٣)، ومسلم رقم (٢١١٠).

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ)[٧]، فالتصوير الحرام أن يأخذ الإنسان القلم ويخطط ويرسم ويضاهئ خلق الله، أو أن يأخذ مطرقةً وإزميلًا وينحت تمثالًا على شكل إنسان أو طير أو حيوان، هذا من أعظم الذنوب والكبائر، فيجب الحذر منه، والقضاء عليه. عن أَبِي هَيَّاجٍ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: (بَعَثَنِي عَلِيٌّ، قَالَ لِي: أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْ لَا أَدَعَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتُهُ، وَلَا تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتُهُ)[٨]، فطمس التماثيل والصور من أوجب الواجبات.

﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ يعني معبوداتكم يوصي بعضهم بعضًا ﴿ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح:٢٣-٢٤]، مرجع الضمير في قوله ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا ﴾إما إلى هذه الأصنام، أو إلى الداعين لعبادتها. ولا مانع من الأمرين لأنَّ إبراهيم عليه السلام قال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[إبراهيم:٣٥-٣٦].

فهذه الأصنام والمعبودات حصل بها إضلال كثير من الناس؛ فئام من الناس هلكوا واستحقوا النار والخلود فيها بسببها، وأيضًا ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ يعني أولئك الذين نصبوها وأقاموها ودعوا إلى عبادتها أضلوا كثيرًا.

﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلالًا﴾[نوح:٢٤]، دعا عليهم. وها هنا مبحث مهم. هل يُدعا على المخالف، أم يُدعى له؟ الجواب أنه في مواضع يُدعى له، وفي مواضع يدعى عليه، فإذا كان في مبدأ الأمر ويرجى إيمانه فإنه يُدعى له، كقول النبي ﷺ:

---

(٧) أخرجه البخاري رقم (٧٠٤٢).
(٨) أخرجه أحمد رقم (١٠٦٤)، وأبو داود رقم (٣٢١٨)، والترمذي رقم (١٠٤٩).

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)[٩]، وقوله لملك الجبال: (بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)[١٠]، إذا تمحضوا للكفر وأصروا واستكبروا استكبارًا، فإنهم يُدعى عليهم.

وقد دعى عليهم نوح عليه السلام بعد أن استنفذ جميع الوسائل الممكنة في استصلاحهم، قال: ﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلالًا﴾ وأي ظلمٍ أعظم من الشرك كما قال ربنا: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣].

قال الله تعالى معقبًا على هذه القصة: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾[نوح:٢٥]، (مما) أي بسبب خطيئاتهم التي أعظمها الشرك، ثُم الفسق أُغرقوا، وذلك أن الله ﷻ أمر السماء فانفتحت كأفواه القرب، وأمر التنور ففار، فالتقى الماء على أمرٍ قد قُدِر، ثلاث كلمات فقط صدرت من نوح عليه السلام، رفع كفيه وقال:﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾[القمر:١٠]، فما الذي جرى؟﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[القمر:١٠-١١]، فما زال منسوب الماء يرتفع على سطح الكرة الأرضية والناس يهربون يمينًا وشمالًا. يركضون، يبحثون عن الجبال والمرتفعات، حتى أن نوحًا أبصر ابنه في هذه المعمعة وحملته عاطفة الأبوة أن يقول له: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾[هود:٤٢]، لكن الكفر المتأصل في النفس أبى عليه، ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِّ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾[هود:٤٣]، كان مشهدًا عجيبًا مروعًا مهيبًا، فظلت السماء تمطر

(٩) أخرجه البخاري رقم (٣٤٧٧).
(١٠) أخرجه البخاري رقم (٣٢٣١)، ومسلم رقم (١٧٩٥).

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

والما يرتفع حتى غطى رؤوس الجبال، وهلك الناس والبهائم وكل شيء، وما بقي إلا أصحاب السفينة، سفينةٌ ذات ألواح ودسر عليها بضعة عشر، ومن كل زوجين اثنين، من أصناف المخلوقات والبهائم والزواحف والحشرات، والطيور؛ لك تتكاثر الخليقة من جديد يحملها الماء ويهوي بها، وهي تجري بهم في موجٍ كالجبال.

﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾[نوح:٢٥]، يا عجبًا! من جانب غرق، ومن جانب حرق، ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾[نوح:٢٥]، أين أولياؤهم؟ أين من يدعونهم من دون الله؟ اضمحلوا، وذهبوا،﴿وَقَالَ نُوحٌ﴾، يعني قبل ذلك ﴿ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾[نوح:٢٥-٢٦]، ديارًا يعني يدور ويمشي ويتنقل، أي لا تبق أحدًا.

﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[نوح:٢٧]، هكذا وجد وهكذا اطره بعد هذه المدة الطويلة، وبهذا أخبره ربه إنه ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾[هود:٣٦].

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[نوح:٢٧-٢٨]، ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾ فبدأ بنفسه وثنى بأقرب الناس إليه، وهما والداه، ثُمَّ ثلث بخاصته وأصحابه ﴿ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا ﴾، ثُمّ لعموم المؤمنين والمؤمنات، ونرجو أن نكون منهم وأن ندخل في دعوته لأن قوله: ﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ يشملهم إلى يوم القيامة، ﴿وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾[نوح:٢٨]، يعني هلاكًا و خسارًا.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

الفوائد المستفادة:

الفائدة الأولى: رحمة الله بعباده بإرسال الرسل.

الفائدة الثانية: بعثة الرسل في أقوامهم. كما قال:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾[التوبة:١٢٨]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[إبراهيم:٤]، حتى لا ينفر منه ويقال دخيل، غريب.

الفائدة الثالثة: التلطف في الدعوة بذكر آصرة النسب.

الفائدة الرابعة: النذارة ركنٌ في دعوة المرسلين كما البشارة.

الفائدة الخامسة: أهمية الوضوح والبيان في الخطاب الدعوي، والإفصاح عن الأهداف.

الفائدة السادسة: أن دعوة الأنبياء تهدف إلى تحقيق العبادة والتقوى والاتباع.

الفائدة السابعة: البشارة والإغراء بالثواب العاجل والآجل.

الفائدة الثامنة: سبق القدر بالآجال وعدم تخلفه بحال.

الفائدة التاسعة: فزع الداعية إلى ربه وبثه شكواه إليه.

الفائدة العاشرة: اجتهاد نوح عليه السلام في دعوة قومه وصبره على إعراضهم.

الفائدة الحادي عشرة: التنويع في الدعوة، في الأوقات، وانتهاز جميع الفرص.

الفائدة الثانية عشرة: غلظ كفر قوم نوح وشدة نفرتهم وضيق عطنهم.

الفائدة الثالثة عشرة: أن الكافر محجوب معطل الحواس بسبب كفره وعناده.

الفائدة الرابعة عشرة: أن الكبر قرين الكفر كما أن التواضع قرين الإيمان.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

الفائدة الخامسة عشرة: التنويع في الخطاب والانتقال من السر إلى الجهر، ومن الجهر إلى السر.

الفائدة السادسة عشرة: فضيلة الاستغفار وجميل آثاره.

الفائدة السابعة عشرة: التذكير بالربوبية لتحقيق توحيد الألوهية كما أسلفنا.

الفائدة الثامنة عشرة: إثبات اسم الله الغفار وما تضمنه من صفة المغفرة وقد بينا لكم معنى الغفر.

الفائدة التاسعة عشرة: جواز الاستغفار وغيره من القربات لتحصيل ثواب الله في الدنيا والآخرة.

الفائدة العشرون: فضيلة الاستغفار وحسن أثره على المستغفرين.

الفائدة الحادية والعشرون: أن الاستغفار من أعظم أسباب نزول الغيث وحصول الرزق والولد.

الفائدة الثانية والعشرون: وجوب إجلال الرب سبحانه وتوقيره.

الفائدة الثالثة والعشرون: الاستدلال بالدلائل الربوبية في النفس والآفاق على توحيد العبودية. الفائدة الرابعة والعشرون: فضيلة التفكر في ملكوت السماوات والأرض.

الفائدة الخامسة والعشرون: إثبات البعث والتدليل عليه.

الفائدة السادسة والعشرون: تفويض الداعية أمره إلى الله إذا استنفذ وسائل والأسباب.

الفائدة السابعة والعشرون: شؤم التقليد والاتباع الأعمى للسادة والكبراء.

الفائدة الثامنة والعشرون: فتنة المال والولد وكونها من أسباب الطغيان والخسران.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

الفائدة التاسعة والعشرون: تفنن الكافرين المكذبين في مواجهة دعوة المرسلين.

الفائدة الثلاثون: تواصي المكذبين بالباطل وتشبثهم بموروث الأسلاف.

الفائدة الحادية والثلاثون: حصول الضلال والإضلال بسبب الأصنام وعابديها ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾[نوح:٢٤].

الفائدة الثانية والثلاثون: الدعاء على الظالمين المتمحضين بالكفر ﴿ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾[نوح:٢٦].

الفائدة الثالثة والثلاثون: أن أخذه سبحانه أليمٌ شديد.

الفائدة الرابعة والثلاثون: شؤم الكفر والذنوب والخطايا على مرتكبيه؛ لقوله: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ ﴾.

الفائدة الخامسة والثلاثون: التعليل في طلب الدعاء ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾[نوح:٢٧]، فعلل دعوته بهذا.

الفائدة السادسة والثلاثون: عناية الداعية بوالديه وأهل بيته وخاصة أصحابه والمؤمنين؛ لدعاء نوح لهم.

الفائدة السابعة والثلاثون: أثر دخول البيت في تقوية المودة والصلة ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾[نوح:٢٨]، فهذا معنى لطيف.

الفائدة الثامنة والثلاثون: الدعاء على أعداء الله وعدم النكير في ذلك بدعوة دعاء لهم بالهداية.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله